خطاب الرئيس
الجامعة حاضنة للمواطنة
الأب ميشال السغبيني

الذكرى السنويّة التاسعة والعشرون لتأسيس الجامعة الأنطونيّة
عيد سيّدة الزروع
١٥ أيّار ٢٠٢٥

صاحب السيادة المطران بولس عبد الساتر،
صاحب السيادة المطران جوزف نفّاع،
قدس الأب العامّ، الأباتي جوزف بو رعد، رئيس عام الرهبانيّة الأنطونيّة،
أصحابَ السعادة النواب الكرام، حضرة القيادات العسكريّة والأمنيّة والقضائيّة والنقابيّة،
حضرة الآباء المدبّرين وأعضاء مجلس أمناء الجامعة الأنطونيّة،
حضرة أعضاءَ الهيئة التعليميّة والإداريّة والطلّابيّة،
أخواتي الراهبات، وإخوتي الرهبان،
أيّها الحضور الكريم،

بادئ ذي بدء، أدعوكم جميعًا للوقوفِ دقيقة صمتٍ لراحة أنفس شهداء الوطن، وعلى نيّة شفاء جميع الجرحى ومن أجل السلام في وطننا والمنطقة. (تفضّلوا)

في عيد الجامعة الأنطونيّة التاسع والعشرين لتأسيسها، في عيد سيّدة الزروع، سيّدة السنابل، يسعدني أن أرحّب بكم جميعًا وأن أشكر الله على أنّنا، رغم كلّ ما حصل في بداية هذه السنة الأكاديميّة ولا يزال يحصل في جنوبنا وبقاعنا، في ضاحيتنا وحدثنا (نسبة إلى الحدث)، استطعنا أن نلتقيَ لا لنحتفل بعيدٍ وحسب، بل أيضًا لنتذكّرَ انطلاقةً ودورًا، لنتابعَ مسيرةً ورسالة.

جميعُنا اختبر جيّدًا شعورًا مريرًا نتمّنى عدم العودة إليه، حين أعددنا كلَّ ما يلزم لنبدأ عامًا جامعيًّا طبيعيًّا، فإذا به يفوق تصوّرَنا وتوقّعاتِنا. لم يكن ضرُر الحرب الوحشيّة علينا فقط في عدد الذين استشهدوا وجرحوا وتشرّدوا وهاجروا، إنّما أيضًا فيما خلّفته من شرخٍ وانقسام، من تعميمٍ وشماتة، من عدمِ احترامٍ لمشاعرَ إلى عدم احترامٍ لرأيٍ مختلف، من عدمِ تمييزِ الصديقِ والشريكِ في الوطن إلى عدمِ تمييزِ وتحديدِ عدوِّ الوطن.

أذكر جيّدًا أنّنا حين استدعينا الطلّاب للعودة إلى مقاعد الدراسة، كان همّنا الأوّل مرافقتَهم ومتابعتَهم عن قرب حثيث، كي لا ينجرّوا بسهولة إلى أفكارٍ قد تستعميهم فيتعامَوا وينقادوا، أو إلى من يستغنمهم فيتبعوه وينجرفوا؛ منذ متى والطالب اللبنانيّ ينقاد كالغنمة؟ ها هم طلّاب الجامعات في أوروبا وأميركا يعبّرون عن رأيهم

بحرّيّة دون خوف، يندّدون، يتظاهرون ويثورون... لا ينقص الطالبَ اللبنانيّ أيٍّ من مقوّمات الحرّيّة كي يكون مواطنًا حرًّا من أيِّ قيدٍ سياسيّ أو حزبيّ، دينيّ أو مذهبيّ.

فانطلاقًا من غيرتنا المسؤولة على طلّابنا ومن وعينا لما يحتاجونه في هذه الفترة التي تلت الحرب غير المنتهيّة، والتي تركتْ آثارًا مصدِّعة في الوحدة الوطنيّة، قمنا بتكثيف ما كنّا نقوم به أساسًا، كي نجنّب طلّابنا ما يمكن أن يُفقدَهم الحسَّ الوطنيّ ويضلّهم عن الوحدة الوطنيّة، عملًا بدور الجامعة.

فالجامعة ليست مبنًى من الإسمنت والحجر، بل هي بيئةٌ حيويّة تلعب دورًا محوريًّا في تشكيل هُوّيّة الطالب وتعزيز شعوره بالانتماء إلى وطنه. هي مؤسّسةٌ تعليميّة حيث القاعاتُ والمحاضراتُ والامتحانات، ولكنّها أيضًا مختبرًا حيًّا يُصاغ فيه مستقبلُ المواطن، ويتنشّأُ فيه على القيم الوطنيّة؛ هي مساحة واسعة يتدرّب فيها الطالب على أدواره الوطنيّة، ويتعلّم فيها كيف يُسهم في نموّ وطنه بالتخطيط والتنفيذ، بالاختبار والسلوك؛ هي فضاءٌ للتفكير، منصّةٌ للحوار، وتجربةٌ حيّة للمواطنة الفاعلة. وإذا كانت الأسرة تصقل فينا القِيَم الأُولى، فإنّ الجامعة تختبر مدى رسوخِ هذه القيم فينا. الأسرة والمدرسة هما الحشا الذي يولد فيه المواطن ويتنشّأ بمساعدةِ أوليائه، أمّا الجامعة فهي تلك الحاضنةُ التي يكمّل فيها ما نَقُصَ من تكوينه الشخصيّ، الحاضنةُ التي تنمو فيها مقدّراتُ المواطن وتكتمل.

في هذه المرحلة العمْريّة الجامعيّة، يتعرّض الطلّاب لأفكارٍ متنوّعةٍ ويتفاعلون معها، كلٌّ بحسب خلفيّته الثقافيّة والدينيّة والحزبيّة؛ يمكن لهذا التنوّع أن يكونَ سببًا يشتّتُهم ويُضِلّلُهم، يشرذمُهم ويُضْعِفُ انتماءَهم، فَيَضْعُفُ الوطن؛ لكن إن وُجدَ مَن يوجّهُ بشكل سليم هذا التنوّع، يمكنه أن يُثريَ مفهومَهم لقضايا الوطن ويجذّرَ ارتباطهم به.

من هنا السؤال الأهمّ: عن أيِّ وطنٍ نتكلّم؟ فالوطن ليس مجرّدَ أرض نتقاسمها أو نعيش عليها، بل هُويّةً نكوّنها سويًّا، كِيانًا نحميه بوحدتنا، حضارةً نبنيها بعَرق جبيننا ورسالةً نكتبها بدمائنا. هذا هو واقعُ لبنان؛ فهل نعيه؟ هل نعي أنّه بقدر ما تعني الأرزةُ لابن الشمال والشوف وباقي المناطق، بقدر ما تعني شجرةُ الزيتون لابن الجنوب، والداليةُ والسنبلةُ لابن البقاع؟ لا تَقِلُّ هذه قيمةً عن تلك. غَيرتُنا على الوطن جعلتنا نخاف عليه؛ نخشى أن يتحوّلَ لبنانُ، مثلَ فلسطين، من وطنٍ وأرضٍ وشعبٍ إلى مجرّد تاريخٍ واسمٍ وقضيّةٍ، تَرْكُلُها الدولُ ككرةٍ في ملعبٍ دون مرمًى ولا أهداف.

لِذا وددتُ هذه السنة الإضاءةَ على دور الجامعة في تكوين وتنشئة أجيالٍ يعونَ مسؤوليّتَهم تجاه الوطن.
ما الذي يجعل الجامعةَ حاضنةً للمواطنة؟

١. **تنـمية الروح الوطنيّة**: في قلب التجربة الجامعيّة، نلتقي من مختلَف المناطق، من خلفيّاتٍ اجتماعيّة ودينيّة وثقافيّةٍ متنوّعة، نحمل آمالًا مشتركة: النجاح، لا في الشهادة وحسب، بل في العمل بها أيضًا؛ وهذا النجاح هو خدمةً وإنماءً للوطن. وحبُّ الوطن ليس مادّة تعليميّة، بل هو ما نزرعه في نفوس وعقول الطلّاب من خلال التجربة اليوميّة: حين يتشاركون النقاشات في قضايا الوطن بعيدًا عن الانقسامات والانتماءات الضيّقة؛ حين نؤمّنُ لهم أجواءً يسودها الاحترام المتبادل والتفاعل البنّاء والتقدير الصادق. إنّ الروحَ الوطنيّة التي تَنْشَأُ في الجامعة ليست شعورًا عابرًا، بل هي التزامًا راسخًا وثابتًا؛ هي ذلك الحافز الذي يجعل الطالب يطمح كي يكون مفيدًا لمجتمعه، لا لنفسه فقط. وَرَدُّ الجميل لا يكون للجامعة بل للوطن؛ يسعى الطالب في الجامعة الأنطونيّة أن يكون جزءًا من تقدّم وطنه لا عبئًا عليه، فيُمسي كلُّ ما يقوم به من مشاركة في التنشئات التنمويّة الإنسانيّة، وأنشطةٍ شبهِ أكاديميّة، من نقاشات وحوارات داخلَ قاعاتِ الجامعة وفي ساحاتها،

من خدمةٍ تطوّعيّة في المجتمع، سببًا يربّي لديه مفاهيمَ أساسيّةً تعزّز فيه روح الانتماء، مثل: المسؤوليّة المدنيّة، احترام القانون، المشاركة المجتمعيّة، الاحتفاء بالتراث الوطنيّ، العطاء الإنسانيّ والتسامح.

٢. التمرّس على التعاون مع الآخر: الجامعة تجمعُنا رغم اختلافنا، وبهذا تدرّبُنا على احترام الآخر. في قاعة الدرس، في مشاريع العمل الجماعيّ، وفي المبادرات الطلّابيّة العابرة للهُوّيّات، لا يهمّ مِن أين أتيتَ وأتيتِ، أو ما هو دينُكَ أو لهجتكِ، بل ماذا ستقدّم؟ كيف ستساهمين؟ إنّ التعاون في الاختلاف مهارةٌ لا غِنى عنها في أيّ مجتمع صحّيّ. تُعلّمنا الجامعةُ أنّ الاختلاف لا يعني العداوة، بل يعني هبةَ التنوّع. تعلّمنا أنّ الإنسان يُقدَّر بأخلاقه، بفكره، بإبداعه وبسلوكه... في الجامعة تتلاقى الآراء، وتتصادم أحيانًا. نختلف، فنتحاور؛ لا نتعصّب، فنتحزّب. هذه هي اللَبِنَةُ الأولى في بناء مجتمع تعدّدي، يحترم الجميع ويضمن حرّيّتهم. إنّ اختبارَ قبولِ الاختلاف والتنوّع يزيل بُرقعَ التعصّب ونقابَ التحزّب عن أعيننا وعقولنا.

٣. إنّ الاحتكاك اليوميّ بين الطلّاب يخلق روابطَ وشبكاتٍ اجتماعيّةً متنوّعةً تتجاوز الانتماءاتِ الضيّقةَ ويعزّزُ الشعور بالوحدة الوطنيّة، إذ يمنح **التعرّف على الشريك في الوطن عن قرب**. انطلاقًا من مخاوفها وشكوكها، ومن باب الدفاع عن النفس، غالبًا ما ترسم المجتمعاتُ صورةً عدوانيّةً عن الآخر وتُسقطُ عليه أحكامًا مسبقة. في الجامعة، تَسقطُ هذه الأحكامُ حين نعرف الآخرَ وجهًا لوجه. نكتشف أنّ الشريك في الوطن ليس خصمًا، بل زميلًا نحترمه، أو صديقًا نقدّره، وربّما رفيقَ درب نحبّه. في ساحة الجامعة، تتداخل الهوّيّات المتنوّعة وتتكامل.

٤. التحضير للعمل في الوطن: الجامعة تُهيّئُنا لنيل الشهادة، وتهيّئُنا أيضًا للحياة العمليّة، لخدمة الوطن من مواقعنا المستقبليّة كمهندسين، ومبرمجين، وإداريّين ومبدعين. هي المكان الذي نكتشف فيه قدراتِنا، وننمّي فيه مهاراتِنا، ونتعلّم فيه قِيَم الالتزام والمسؤوليّة. فالنشاط التطوّعي الذي يقوم به طلّابنا مثلًا، يهيّئُهم ليس فقط لممارسة مهنتهم، بل أيضًا ليتعرّفوا على واقع الناس وظروفهم، ويتعلّموا العطاء بإنسانيّة، ويكتشفوا فضلَ الخدمة على المكسب المادّيّ. في هذا المختبر الوطنيّ الكبير، الجامعة، وفي خضمّ هذه الورشة الإعداديّة للحياة العمليّة، نتمرّن على حلّ المشكلات، على التفكير النقديّ، على اتّخاذ القرار، على العمل الجماعيّ، على القيادة المسؤولة، وهذه كلُّها مهاراتٌ لا غِنى عنها لبناء وطنٍ قويّ. الجامعة ترسّخ فينا أنّ العملَ شرفٌ، وأنّ الإخلاص في العمل هو قِمَّةُ المواطنة.

٥. احترام القانون: ما إن يدخل الطالبُ الجامعةَ حتّى يُطلب منه احترامُ الأنظمة: الحضور، الانضباط، النزاهة الأكاديميّة، الالتزام بالمواعيد، المشاركة الفاعلة... هذه القوانين ليست عوائقَ ولا عراقيلَ لحرّيّته، بل دروسًا في المواطنة؛ لأنّ احترام القانون هو أساس الاستقرار والتقدّم في أيّ مجتمع. تعلّمُنا الجامعةُ أنّ القانون ليس سيفًا مرفوعًا، بل مظلّة للجميع. تعلّمنا أنّ المسؤوليّة الفرديّة هي حجر الزاوية في بناء المجتمع. مَن يغشّ في الامتحان اليوم، سيزوّر عمله غدًا. من يلتزم اليوم، سيكون قُدوةً في مجتمعه غدًا. يقول أحمد مطر "كان قديمًا يسمّونه "فساد"، تركوه حتّى كبُرَ فَـ"ساد". نعم! إنّ التمرّسَ في الجامعة على محاربة الفساد من خلال الالتزام بالأنظمة وعمليّة التقييم والمساءلة والمحاسبة، هو من أهمّ عناصر المواطنة، بخاصّة في لبنان.

٦. تكافؤ الفرص: أحدُ أعظم مبادئ المواطنة التي تتجلّى في الجامعة هو مبدأ تكافؤ الفرص. الجامعة تمنح الجميعَ الحقّ في التعلّم، لا تفرّق بين غنيّ وفقير، بين ابن مدينة وابن قرية؛ كم من فقيرٍ تفوّق، وكم من غنيٍّ تَعَوَّق؛ في هذا السياق، تُمثّل الجامعة نموذجًا مصغّرًا للوطن الذي نريد: وطنًا يتساوى فيه الناس في الفرص، تُفتح فيه الأبواب على أساس الكفاءة.

وحين يشعر الطالب أنّه يُعامل بعدل، ينمو لديه الإحساسُ بالانتماء والمسؤوليّة، وتنمو لديه مهاراتُ القيادة الصحيحة، وهي مهارات ضروريّة للمواطن الفاعل والمساهم في ريادة مجتمعه ووطنه.

٧. شفاء الذاكرة والضمير والقلب: في النقطة الأخيرة التي تميّزتْ بها جامعتُنا، والتي يحتاجها كلُّ لبنانيٍّ على حدّ قول البابا يوحنّا بولس الثاني في الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"، هو "تطهير الذاكرة وتنقية الضمير والقلب"[١]. تعمل جامعتنا الأنطونيّة من خلال برامجها الأسبوعيّة على شفاء الذاكرة والضمير والقلب سعيًا لتنمية الطالب الإنسانيّة المتكاملة؛ فرواسب الحرب والفساد، التعميم والتأطير والمصلحة، كما الشعور بالخيانة والغبن والإحباط، لا تزال كلُّها راكدةً في ذاكراتِنا وضمائرِنا، تحرّكُ عقلَنا وقلبَنا على هواها. فكما تتفاعل حبّة الحنطة مع التربة والرطوبة والهواء والشمس، لتصبح نبتةً تحمل الثمار النضرة، هكذا يحتاج الطالب إلى التفاعل مع كلّ ما تقدّمه له الجامعة، من علوم ومعارف، ولكن أيضًا من برامجَ سنويّةٍ ودوراتٍ مكثّفةٍ في الصحّة العقليّة والنفسيّة. نعم، نحن نحتاج مواطنين سليمي العقل والروح، صحيحي الذاكرة وذوي ضمير حيّ. فما فائدةُ العيون، إن كان العقل أعمىً؟

خاتمة: الجامعة حاضنة المواطن

ختامًا، الجامعة تصنع عقولًا مُبدعة، ولكن أيضًا مواطنين صالحين. إنّها الحاضنة الأولى التي يختبر فيها الإنسان قيمه، يصقل فيها شخصيّته، يتعلّم فيها حبَّ الوطن، والعملَ مع الآخر، والعيشَ مع أيٍّ آخر؛ عندما يدرس يتعلّم العطاء، عندما يبحث يتعلّم الشغف، وعندما يخدم يتعلّم التضحية. في الجامعةِ الأنطونيّة يختبر الطالب مقوّماتِ المواطنة: يتخرّج منها حاملًا شهادةً تخصّصيّة، لكنّه أيضًا يدخل معترك العمل بصفات المواطن الأمين الحكيم، بصفات المواطن المسؤول المختبَر الذي يعي أبعاد انتمائه لوطنٍ تميّز بتاريخه وجغرافيّته ودوره، بتكاوينه وشعبه ورسالته.

يُقال أنّ اللبنانيّين تاريخيًّا هم تجّارٌ، أعتقد أنّهم "رِساليّون" وإلّا كيف أصبح لبنانُ رسالة. ليتنا نستعيد مهنتنا هذه، جاعلين من وطننا رسالةً إنسانيّةً، جاعلين من وطننا وطنَ الإنسان. ما نعلّمه للطالب في جامعتنا هو أنّ أنسنةَ الوطن ولبننة المواطن هما عناصرُ مواطنَتِه الأساسيّة؛ فلا الفدرلةُ ولا الدَعْشَنةُ ولا التَوْلِيَةُ الفقهيّة هي من عناصر المواطنة. عندما نُنَشِّأُ جيلًا على المواطنة الحرّة، نستعيد سيادة الوطن. الوطن ضائعٌ فينا، فلا نبحثنَّ عنه في الخارج، إنّه في داخلنا.

لقد أرادت الرهبنةُ الأنطونيّةُ أن تكون مؤسّستُها التربويّةُ الأكبر جامعةً تشبه الوطن، مساحةً للحوار لا للصراع، للتعاون لا للتناحر، للحرّيّة المسؤولة لا للفوضى، للخدمة لا للمصلحة، لإعادة بناء وطنٍ يليق بتاريخه ورسالته. أرادَتْها مختبرًا للحوار بهدف تمكين الانتماء إلى الوطن عبر تصدير الأفكار لا هجرة العقول، بهدف التنشئة على الروح الوطنيّة وإسنادها، عبر العمل على توحيد الوطن وصَونه.

أخيرًا، إنّني إذ أشكر الجميع على حضورهم ومشاركتهم، أرجو أن يكون هذا العيدُ مباركًا علينا جميعًا وعلى الجامعة الأنطونيّة؛ ولتحمينا سيّدةُ الزروع، وسيّدة لبنان، وتصونَ وطنَنا وتحميَ شبيبتَنا ومستقبلَهم.

"أيّتها العذراء مريم، كما شاركتِ في مشروعِ الله الخلاصيّ لتحرير الإنسان من عبوديّة الخطيئة، علّمينا كيف نشاركه هذا المشروع لخلاص وطننا وإنسانيّتنا وصورته فينا". آمين، وشكرًا.

[١] يوحنّا بولس الثاني، ***الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"***، اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الديب (لبنان) ١٩٩٧، عدد ٩٧.